

المقايضة في المواقف السياسية بين القاهرة وواشنطن

محمد أبو الفضل
كاتب مصري



ذلك، لأن هذا النوع من القضايا المعقدة بحاجة لديناميكية رشيدة توفر لها بيئة مناسبة للتنفيذ، ولأن فكرة التدخل والدور لهما حدود مرتبطة برؤى إستراتيجية لا يصلح معها الحب والكره والخواطر والمقايضات. تعلم القاهرة أن ملف سد النهضة يمثل أهمية حيوية لإثيوبيا، بل دليل أن ثلاث إدارات أميركية مرت عليه (باراك أوباما وترامب وبايدن) وتكاد تكون مقاربات جميع الإدارات متشابهة في المحصلة النهائية، وهي صفر، على الرغم من أن العلاقات بين القاهرة وواشنطن تفاوتت صعودا وهبوطا، وسخونة وبرودة، على مدار العقد الماضي الذي بدأت فيه أديس أبابا بناء مشروعاتها العملاق.

تقود هذه النتيجة إلى أن مصر لديها دراية كافية بأن المساومة هنا غير عملية وغير منتجة بالمرة، هذا إذا افترضنا أن الإدارة الأميركية الحالية قابلة للابتزاز، ولن يضر الولايات المتحدة كثيرا إذا استمرت الحرب على غزة أياما أو أسابيع أخرى، لأنها على مدار الأحد عشر يوما للحرب لم تتغير ثوابتها حيال دعم إسرائيل المتواصل في مجلس الأمن، أو إدانتها السياسية الواضحة لتصرفات حماس في جميع المحطات.

من تحدثوا عن مقايضة بين قطاع غزة وسد النهضة غابت عنهم الكثير من تفاصيل الصراع في الأول الذي خُشيت القاهرة أن يمتد أكثر من اللازم بما يلحق ضررا بالغا بها ويفرض عليها خيارات قد تكون غير مستعدة لها في الوقت الحالي، وتجاهلوا التناكبات الطاغية في الأزمة الثانية التي تجعل من واشنطن متريفة جدا.

رمت مصر بثقلها لوقف الحرب وإيجاد واقع جديد بعيد إليها مكائنها في القضية الفلسطينية، ويجعل من المفاوضات طريقا عمليا للحل، وتؤكد أنها حاضرة بقوة في المنطقة، وأن أي مشروعات إقليمية لن تكون مجدية في ظل تعييبها. ونجحت القاهرة في أن تحصل على مقايضة مبدئية من واشنطن في توقيت بالغ الحساسية، كانت فيه مؤشرات العلاقات تسير نحو طريق شبه مسود.

يمثل هذا التطور مكسبا مهما، بصرف النظر عن تدخل الإدارة الأميركية في أزمة سد النهضة من عدمه، فعندما تتيقن الأخيرة من أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه القاهرة ويخدم مصالحها، قد يتم التفكير هنا في تخفيف الضغوط الواقعة عليها في بعض الأزمات الإقليمية، والتي ربما يكون من بينها سد النهضة، ما يحقق الفائدة لأممنا من مصر وإثيوبيا، فالدولتان مهمتان في التوازنات الإقليمية التي تقيمها الولايات المتحدة ولن تستطيع التضحية بواحدة على حساب الأخرى.

لذلك فإني أتدخل جاد يمكن أن تقوم به واشنطن لن يحقق أهداف القاهرة كاملة، فقد يكون بمثابة نصف انتصار ونصف هزيمة، وهي نتيجة تكفي لنسب مبدأ المقايضة، وتحتيتها من إدارة العلاقات بين الطرفين. فلا تزال هناك أشواط متعددة للمباريات السياسية، ولا أحد يعرف نتائجها بالضبط بالنسبة لغزة أو سد النهضة، فوقف الحرب في الأولى لا يعني نهاية المطاف وعدم تكرارها، والبرودة النسبية في موقف الولايات المتحدة من الثانية لا تنفي بعدم الإنحياز فيها تماما. في

الحالتين تمر العلاقات بين البلدين بمرحلة جسد نبض بحاجة لغبايتها لقياس طبيعة الدور الذي يمكن أن يقوم به كل طرف ويصب في مصلحة الثاني.

مع عودة الدفء في العلاقات بين مصر والولايات المتحدة راجت استنتاجات بأن القاهرة انخرطت لوقف الحرب في قطاع غزة لمقايضة واشنطن على تدخلها لحل أزمة سد النهضة الذي يمثل أهمية قصوى للقاهرة، وهي طريقة غير دقيقة في التفكير. فلا الأولى اخترعت أو أسهمت أو حرصت على الحرب لتثبت حضورها الإقليمي وأهميتها في المنطقة، ولا الثانية تقبل ضغوطا من هذا النوع لتتدخل في أزمة ما، فالمسألة لها حسابات خاصة بكل دولة، وتتعلق بتقديرات مختلفة تفرضها مكونات المصالح الإستراتيجية البعيدة.

تدخل مصر بالوساطة المراتونية بين إسرائيل وحماس لوقف الحرب يفرضه مطبات لها علاقة وثيقة بأمنها القومي، ولم يتم التدخل لرفع الحرج عن الولايات المتحدة وتبييض وجهها أو إنقاذ إسرائيل أو تخفيف الضغوط عن حركة حماس.

كما أن واشنطن لا تنتظر حادثة هنا أو تطورا هناك لترمي بثقلها خلفه ولتسرع في حل أزمة السد الإثيوبي، فهو جزء من اهتمامها العام بحكم تأثيراته المتوقعة على الأمن والاستقرار الإقليمي، وتديره بالطريقة التي تتواءم مع مصالحها الحيوية.

عبئت واشنطن مبعوثا خاصا للقرن الأفريقي، هو جيفري فيلتمان، وقام بجولة استكشافية الشهر الماضي لكل من مصر والسودان وإثيوبيا وإريتريا، وعبر الرجل عن ضرورة استئناف المفاوضات في أسرع وقت ممكن قبل أن تبدأ حرب غزة وتظهر في الأفق ملامحها، بمعنى أن واشنطن بدأت فعليا تقرب من توترات القرن الأفريقي بعيدا عن غزة وتواجبها، غير أن رؤيتها للتدخل في سد النهضة أمر يمكن الاختلاف حوله، فكل من القاهرة وأديس أبابا مكانة مهمة في الروزنامة الأميركية، ما يجعل عملية الضغوط المتبادلة عبثية.

من يتابع الموقف الأميركي الراهن من سد النهضة يجده باتي في مرتبة تالية للأزمة الإنسانية في إقليم تيغراي، حيث صبت واشنطن جام غضبها على تحركات أديس أبابا وحليفاتها أسمرية وما قامت به من انتهاكات في الإقليم، وأدانتها تقارير عديدة، في حين لم تذكر كلمة لوم واحدة خاصة بتعنت أو غطرسة إثيوبيا في إدارة ملف سد النهضة، وتعامل معه باعتباره مشروعا تاريخيا، أما نصب الجندي المجهول ببغداد فيسبل شاهدا بأسماء الشهداء وعلى هزيمة نظام الخميني أمام جيش العراق.

أما الاستهزاء بثورة أكتوبر العراقية فهذا سيؤيد من عمقها الشعبي لأنها شكلت منذ عام 2019 نهاية فصول الخداع والزيف، الثورة ليست صناعة خارجية تعتمد في استمرار حياتها وحيويتها على أعوان من خارج الحدود، هي نتاج معاناة شعب من الظلم والافتقار والتجوع، الشباب المؤمن بقضية الوطن يتعاطى مع منجزات الحضارة البشرية ومن ضمنها الثورة التقنية والرقمية فيما تعيش الأزمات على أوامهم خرافية رغم أن أبناء قادتها والموالين لهم يعيشون بأموال الفقراء مظاهر البذخ الفاضح في عواصم أوروبا وأمريكا.

التاريخ القريب والبعيد في منطقتنا والعالم ذكر قوائم كثيرة لحكام استبدادوا وأفقروا ونهبوا شعوبهم مستندين على قوى خارجية كبيرة، لكن حين جاءت لحظة التحلي رمي بأولئك الحكام كأوراق التواليت. فلا تغرنكم ميليشياتكم لأن غالبية أفرادها عراقيون مضطرون لإعاشة أسرهم، ليست أقرب أيام التاريخ مثلا في العراق انفضاض الملايين عن الولاء لنظام صدام وعدم الاستعداد للموت من أجل الدفاع عنه، بل انضم أغلبهم لموجات اللطم والتعصب المذهبي لاستمرار حياتهم.

لا يغتر المستبدون والسراق والقتلة بمظاهر القوة الخارجية لأنهم ضعفاء مهزومون أمام أهل العراق، وسينتهي عهدهم والأيام المقبلة ستشهد ذلك.

العرب
2021



العرب

مناظرة افتراضية بين شباب العراق وخونته

أخذت في السنوات الأخيرة تحتفظ عن الإعلان بمساندتها لهم لإبعاد الإحراج عنها، مما اضطر تلك الأحزاب للإعلان عن هوية مرجعيتها الحقيقية - الولي الفقيه - في طهران والتي كانت مكتشفة منذ الأيام الأولى للاحتلال.

تتبع العراق لإيران أيديولوجيا وسياسيا شواهدا ولائها كثيرة دامية، لعل أولها أدوات القتل الميليشيائية التي تتفاخر بولائها لولي الفقيه خامنئي وللدرس الثوري. أما أحاديث إهانة عروية العراق ودعوة حكام طهران لتخلي أيادها عن العرب والاحتراق بإيران، فهذه عززت تمسك أهله بعروبتهم مثلما يعتز قسم من الإيرانيين بفارسيتهم، لعل شعارات المنتظرين خاصة في كربلاء والبصرة بطرد إيران وتزويق صور خامنئي وصلت رسائلها للجمع.

يطالب شعب العراق وثواره الأحزاب الحاكمة بإعلان إنجاز واحد قدمته للعراقيين في ميادين الصحة والتعليم والطرق والجسور والمدارس رغم صرف أكثر من 500 مليار دولار.. ليس من الديمقراطية والعدل مطالبه الشعب بمعرفة مصير تلك الأموال المنهوبة وأسماء السراق وإعادة تلك الليلد. نعم تسجل الآن قوائم أحفاد العلقمي للحساب التاريخي ولن تكون هناك فرصة لتعليقها على قصر كسرى الذي يحكي هزيمته التاريخية، أما نصب الجندي المجهول ببغداد فيسبل شاهدا بأسماء الشهداء وعلى هزيمة نظام الخميني أمام جيش العراق.

قاعة الشعب وثواره بان حكام عام 2003 وما بعده لا يمتلكون شرعية سلطتهم التي أهداها لهم احتلال غاشم أسقط دولة العراق ومُرت على إدارته أوامم اليمين الأميركي وقوى اللوبي الفارسي بأن دولة العراق السنوية يجب إسقاطها لإحداث التوازن في المنطقة. كل المحاججة النظرية الفرعية اللاحقة ليست ذات قيمة على قاعدة ما بُني على الباطل فهو باطل.

انكشفت منذ وقت مبكر لعبة الغطاء المذهبي والديني وقصة المظلومية الشيعية باستثناء الأكراد الذين لهم خصوصيتهم القومية المشروعة وحق تقرير المصير، ومشاركتهم السياسيين الشيعية في استلام السلطة عام 2003، لا تحمّلهم مسؤولية الأضرار التي لحقتها تلك الأحزاب بالعراق.

خطورة ثورة أكتوبر على مصير حكم الأحزاب وأدائها الفاشية التي تنامت بتخطيط إيراني، أنها كشفت كل فصول اللعبة وموجاتها المتعاقبة مثل التغطية بصور وشعارات المرجعية الشيعية التي

الآخر كالعصافير المغرورة بطيرانها حتى تقتلها رصاصات الصيادين الماهرة. أخذنا البعض منكم إلى ساحتنا، أغربناهم ببعض الأمان والوجاهة من أجل إسقاط ما تسمونه ثورة من الداخل ولكل فريق منا كانت له طريقته لتحقيق هذا الهدف.

إنكم واهمون إن اعتقدتم أن قوتنا وصرامتنا ادواتنا هي داخل العراق فحسب هذه أميركا التي ترفع شعارات الموت ضدنا وتحرق أعلامها في الشوارع بوميا، مُلتزمة بنا ولا تُفُز بمصير حكمتنا، روسيا والصين اللتان لهما تاريخ مُشرف بعدم الاعتراض على الاجتياح الأميركي للعراق، هما ملتزمتان بحمايتنا أيضا.

أما انتم وتورتمكم الزعومة من هم اصداؤكم خارج حدود العراق، انكروا لنا مالا لدولة عربية كالسعودية والإمارات والبحرين رفعت صوتها إلى جانبكم، فهذه الدول تتعامل مع حكومات وليس معارضات انتهى عصرها بنهاية نظام صدام حسين.

انظروا كيف يلعب مولانا الولي الفقيه خامنئي في الساحة الفلسطينية، أرسل الآلاف من الصواريخ إلى غزة التي نفذ رجال المقاومة هناك تعليماته بتوجيهها إلى تل أبيب لكي تصل رسالته إلى إسرائيل والولايات المتحدة بأن طهران قادرة على الوصول عبر وكلائها إلى أي هدف تريده.

تلك قائمة مختارة من أحاجي المحكمين بسلطة العراق يعتقدون من خلالها أنهم مُخلّتون في سلطة لم تعد قادرة على التماسك والاستمرار. بخاندا يرى أهل العراق وشبابه، رغم أنهم غير مكترئين بالمحاججة مع قتلهم، لأنهم اختاروا طريق المواجهة الميدانية رغم كلغها العالية من مدائهم الزكية. مع ذلك يبقى الخطاب الإعلامي الموجه المقتنع مفيدا لبعض المغشوشين من أنصار الحكم الاستبدادي بسبب حاجتهم إلى سد الرق.

قاعة الشعب وثواره بان حكام عام 2003 وما بعده لا يمتلكون شرعية سلطتهم التي أهداها لهم احتلال غاشم أسقط دولة العراق ومُرت على إدارته أوامم اليمين الأميركي وقوى اللوبي الفارسي بأن دولة العراق السنوية يجب إسقاطها لإحداث التوازن في المنطقة. كل المحاججة النظرية الفرعية اللاحقة ليست ذات قيمة على قاعدة ما بُني على الباطل فهو باطل.

انكشفت منذ وقت مبكر لعبة الغطاء المذهبي والديني وقصة المظلومية الشيعية باستثناء الأكراد الذين لهم خصوصيتهم القومية المشروعة وحق تقرير المصير، ومشاركتهم السياسيين الشيعية في استلام السلطة عام 2003، لا تحمّلهم مسؤولية الأضرار التي لحقتها تلك الأحزاب بالعراق.

الطاغوت وأذنابه وتوزيع بعضها على مستحقيها من المجاهدين والقادة والأميرين وحكومات الولايات الجديدة بسوريا ولبنان واليمن ثم الولاية الجديدة غزة، أما الرعاع من العراقيين فتكتفهم حياة الكفاف.

ألم نستخمر بذكاء لعبة الانتخابات لنحافظ على حكم جيش الحسين حتى القضاء النهائي على آخر الرجال من ورتة يزيد. خضنا خلال سبعة عشر عاما جولات متواصلة لتصفيتهم بقيادة أسطورة المقاومة الشهيد قاسم سليماني والحرس الثوري والفصائل الإسلامية في مناطق مهمة بالعراق كالموصل وصلاح الدين وديالى والأنبار وكركوك، ثم ولفنا بذكاء داعش لتدمير ما لم ندمره.

انظروا إلى من كانوا يوهمون العرب السنة بأنهم ممثلوهم على مصطبة المحاصصة التي صنعها لنا الحاكم الأميركي بريمر لكن مفعولها انتهى بعد الانضمام العلني لأولئك المظلمين لولاية الفقيه، استخدمناهم كحصىة طروادة وبيادق لخدمتنا لقاء المال الوفير.

يتساءل الطرف الحاكم.. لماذا

يثور هؤلاء الشباب علينا، ألم نتعاون مع شبكات الاستخبارات الأميركية والإسرائيلية ونفذنا رغباتها وبرامجها في تدمير العراق ورجاله الراضين للاحتلال، عندما تحولنا إلى جواسيس وأدلاء وفرق موت ميدانية ليسلمونا السلطة باسم الشيعة ولفرف مظلوميتهم، ألم نرفع بيارق النحر من

الديكتاتورية ومن حكم السنة الممتد لآلاف وأربعين عاما، وصور مرجعياتنا الشيعية فوق رؤوسنا وخلف مكائنها، وجعلنا من العراق كما وعدنا الإباء والأجداد مركزا للتشيع في المنطقة. ألم نحول الطرق من بغداد والحلة والناصرية والكوت والعمارة والبصرة إلى كربلاء في مواسم استذكار الإمام الحسين وفاجعته إلى مواقد "الهريسة" (أكلة محلية جنوبية)، وحولنا إبداعات الشعراء والقصاصين إلى مناقب للزلاء والحزن طوال أيام السنة التي جعلنا غالب أيامها عطلا في دوائر الحكومة لحين عودة الإمام المهدي المنتظر.

لماذا نتشغل ببناء المستشفيات والمدارس والطرق والجسور ونحن بانتظار يوم القيامة الموعود، ليست الحضارة والمدنية الغربية ورقي الإنسان وتواصله في العالم الصغير الجديد بدعة وانحلالا وحيانة للثقوى التي يُبشر بها أئمتنا الذين أوجدوا الحل الرخيص للشباب عن طريق زواج المتعة لحمايتهم من الانحراق.

لماذا يستمع الشباب إلى ما يقوله المغرضون عما يسمونه نهبا للأموال العامة، ليست هي حسيما نفتي مرجعياتنا مالا عاما يجوز الاستيلاء عليه ودفع "خمسة" للمرجعية بدلا من أن يذهب إلى جيوب العامة، ثم ليست من مبادئ الشيعة الأثني عشرية أن تذهب خيرات ولاية العراق لصندوق الحاكم الأعلى في طهران ويبيده سلطة استثمارها في مشاريع السلاح ضد

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي



في هذه السطور مناظرة افتراضية بين الشباب العراقي الثائر وعصابات الموت والنهب والفساد رغم أن الحوار بين الطرفين أصبح مستحيلا بسبب دماء الضحايا من شهداء ثورة أكتوبر، لكنها محاولة لتقديم بيان هوية واستحقاق كل منهما.

المحكمون بمصير أهل العراق من قادة الأحزاب وميليشياتها التي ادعت إسلاميتها وهي بعيدة في الممارسة عن أي من معايير الدين الإسلامي أو هموا جمهورهم بتلك الشعارات، بذات الوقت يعتبرون ممارساتهم وسياساتهم على أنها إنجازات، يتوجهون إلى أهل العراق وشبابه بخطابات الحقد والكراهية والدجل والتبعية للخارج.

بفقرات موجزة نعرض تساؤلاتهم وخطابهم المزيف الموجه للثوار وللشعب العراقي:

يتساءل الطرف الحاكم.. لماذا

يثور هؤلاء الشباب علينا، ألم نتعاون مع شبكات الاستخبارات الأميركية والإسرائيلية ونفذنا رغباتها وبرامجها في تدمير العراق ورجاله الراضين للاحتلال، عندما تحولنا إلى جواسيس وأدلاء وفرق موت ميدانية ليسلمونا السلطة باسم الشيعة ولفرف مظلوميتهم، ألم نرفع بيارق النحر من

الديكتاتورية ومن حكم السنة الممتد لآلاف وأربعين عاما، وصور مرجعياتنا الشيعية فوق رؤوسنا وخلف مكائنها، وجعلنا من العراق كما وعدنا الإباء والأجداد مركزا للتشيع في المنطقة. ألم نحول الطرق من بغداد والحلة والناصرية والكوت والعمارة والبصرة إلى كربلاء في مواسم استذكار الإمام الحسين وفاجعته إلى مواقد "الهريسة" (أكلة محلية جنوبية)، وحولنا إبداعات الشعراء والقصاصين إلى مناقب للزلاء والحزن طوال أيام السنة التي جعلنا غالب أيامها عطلا في دوائر الحكومة لحين عودة الإمام المهدي المنتظر.

لماذا نتشغل ببناء المستشفيات والمدارس والطرق والجسور ونحن بانتظار يوم القيامة الموعود، ليست الحضارة والمدنية الغربية ورقي الإنسان وتواصله في العالم الصغير الجديد بدعة وانحلالا وحيانة للثقوى التي يُبشر بها أئمتنا الذين أوجدوا الحل الرخيص للشباب عن طريق زواج المتعة لحمايتهم من الانحراق.